

الكذب قد يكون دليلاً على حريتنا

العمل التخيلي أكثر قدرة على كشف الحقائق



التخيل يعيد بناء الواقع (لوحة للفنانة ريم ياسوف)

حقيقة الإنسان العميقة المركبة، بشكل يخالف الحقيقة الظاهرة. والسبب أن العمل الفني ليس مجرد رسالة، بمعنى حقيقة ينبغي تمريرها أو الإبلاغ عنها (لأن ذلك سيحيد بنا إلى الأيديولوجيا)، فالحقيقة تنسأ في الفعل الإبداعي، وتنبثق من أزمات يسميها ميشيل ليريس "اللحظات التي يبدو فيها الخارج يستجيب بغتة لأمر من الداخل"، إذ هي لدى الفنان موضوع بحث: أن يجعل المرئي لا مرئياً، ويُسمع ما لا يُسمع، ويخلق عالماً موازياً، لا يجد الداخل إليه رسالة أو أخلاقاً أو درساً، بل يقابل نفسه ويتحمل جرائر مقابله.

كيف نفسر مثلاً أن أي جزء من "الكوميديا الإنسانية" لبليزاك، يقدم من خلال حكاية مبتكرة جوهر مرحلة الاستعادة وملكية بوليو (الاسم الذي أطلق على الحقبة الملكية الدستورية الليبرالية تحت حكم لويس فيليب 1830 - 1848) بطريقة أفضل من كتاب تاريخي؟ وأن مسرحية "آخر خان" لأريان مونشكين تقول ما لم تقله كل المقالات والتحقيقات الميدانية مجتمعة عن فاقد الماوي؟ يمكن أن نقول الشيء نفسه عن شريط ليريمان أو باروليني، أو عن قصيد لروني شار، أو لوحة لواتو، أو منحوتة لجاكوميوتي، فكلمة تصور

يكون روائياً إذا قال حقيقة الإنسان، ورومانسياً إن هو أخفاها. يقول جيرار إنه وجد هذه الحقيقة عند خمسة روائيين كبار هم ثرانتس وستندال وفلوبير وبروست وستوفسكي، إذ استطاعوا برغم اختلافهم أن يرسموا عن الإنسان الوجه نفسه، كلهم كشفوا عن الحقيقة ذاتها، والمفارقة أن هذه الحقيقة هي عدم أصالة الكائن البشري، بمعنى زيفه. من المفارقات أيضاً أن يكون العمل التخيلي أكثر قدرة على كشف الحقيقة العميقة لمرحلة أو كائن بشري من دراسة تاريخية أو بيولوجية أو سيكولوجية أو أنثروبولوجية أو وناثية.

يسبغها ميشيل فوكو على ما أسماه "الهيبتروتوبيا"، تلك الفضاءات الأخرى الموجودة داخل المجتمع دون أن تكون "لا مكاناً" لكونها نوعاً من "اليوتوبيا الموضعية" كالحدايق والمقابر والبيوت الوردية المغلفة ونوادي العطل... فهي في نظره عبارة عن احتجاجات، أسطورية وواقعية في الوقت نفسه، على الفضاء الذي نعيش فيه.

هذه الملاحظات تبيّن أن مثل تلك الممارسات التخيلية، سواء أكانت جمالية أم سياسية، ليست واقعا بديلاً على المنوال الذي تقترحه الأيديولوجيات التوتاليتارية أو "ما بعد الحقيقة" الناجمة عن باتولوجيا المجتمعات الديمقراطية.

ففي حين تعمل السرديات التخيلية المبدعة على استكشاف إمكانات جديدة، تعمل "ما بعد الحقيقة" على تغطية الواقع براء من عدم التمييز، وتقرّ نوعاً من الليل "تكون فيه الإيقار كلها رمادية" بعبارة هيغل، أي عالماً شبيهاً بذلك الذي وصفه أرويل في رواية "1984"، القدرة على التمييز بين الحدث والخيال، بين الصواب والخطأ، لأن التمييز نفسه لم يعد له وجود. في هذا العالم، الذي فقد صفته كعالم، زالت قوة المخيال في الوقت نفسه الذي أمحت فيه قوة الحقيقة. فصياع العالم هنا يشهد عن ضعف الخيال بنفس القدر الذي تتراجع فيه الحقيقة.

كشف الحقيقة

مقاربة أخرى في باب التخيل والواقع بين الصدق والكذب، قام بها مفكر عرف بتخصصه في المقدس والمدنس، ولم يمنعه ذلك من الاهتمام بالمتن الروائي والنظر إليه من زاوية تخرج عن مجال تخصصه في الظاهر، ولكنها تصبّ فيه في المحصلة النهائية، بوصفه فيلسوفاً يهتم بما يجعل الحياة جديرة بأن تعاش على هذا الكوكب.

في كتاب "كذب رومانسي وحقيقة روائية" يميز روني جيرار بين الرواية الحق والرواية الرومانسية، ويرى أن الأولى تختلف عن الثانية اختلاف الصدق عن الكذب. الرواية كجس أدبي لا تتحد في رأيه بشكلها بل بمضمونها، وبقيمة ذلك المضمون تحديداً. هذا الجنس

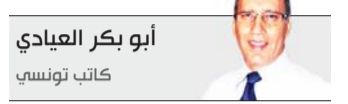
لا ينحصر اهتمام المفكرين في الغرب في حقلهم المعرفي، بل يتعداه ليشمل الواقع في شتى تجلياته، ومن بين تلك التجليات النشاط الأدبي ومنجزاته، فهو مثال عمّا بلغه الفكر الإنساني من تطور، ومرآة يمكن أن يتطلع فيها الدارس إلى خصائص مجتمع ما وقيمه وأنماط عيشه وتفكيره. هنا يقع التركيز على التخيل، هل يستنسخ الواقع أم ينفصل عنه؟ وهل يفي بالواقع أم يتنكر له؟

استنساخه، لأنه يذهب أبعد من بدهة العالم كعطي قار، ويسمح بتخيل طرق أخرى للإقامة في العالم. بعبارة أخرى تسمح قدرة التباعد عن المرجعية الأولى للواقع بإعادة تكيفه وتصنيفه وإثرائه من خلال تحرير وظيفة الاكتشاف. بهذا المعنى، تحدث بول ريكور عن الأدب وقدرته على "تحطيم العالم" ليلتحق بمقترح آخر للعالم، عالم يمكن أن نسكته ونضفي عليه إمكاناتنا. عندئذ يمكن أن نتحدث عن "حقيقة ينبغي تحقيقها" حتى وإن كانت في ذلك مفارقة وفق المصطلحات الكلاسيكية عن الحقيقة والتثبت، كعندالسة بين الشيء والعقل تضمن واقعية الشيء وحقيقته.

والمقترح كما أكد ريكور في رأيه أعلاه يستقيم في المجال الجمالي، ويستقيم أيضاً في الحقل السياسي، حيث أن بعض الممارسات التخيلية، كاليوتوبيا أو مقابلتها الديستوبيا، تنأى عن الواقع لنضوي الواقع الاجتماعي كما هو. وهذا المخيال له وظيفة منحرفة عن المركز، فهو يبتعد عن المجتمع في صورته المائلة ويضعه مؤقتاً على مسافة ليفتح حقل الممكنات.

بيد أن خصوبة هذه التخيلات، ولاسيما السرديات الديستوبية، لا تصمد أمام حقيقة أنها ينبغي أن تتحقق تحت الملامح التي وضعت فيها. فهي ليست مقترحات بديلة يمكن أن تعوض العالم الواقعي، لأنها تنتج في أغلب الحالات، إذا أخذنا مضمونها بعين الاعتبار، أشكالاً باتولوجية أو توتاليتارية. ومن ثمّ ينبغي مقارنة سلطانها التجريبية الاستكشافية بشكل مغاير والاهتمام بالكيفية التي يدغو فيها "لا مكاناً" اليوتوبيا قبل كل شيء خزاناً لخيال يزعج الواقع ويقلقه ويحلّ الغرابة محل البدهة المزعومة.

إن المسافة القائمة بين مرجعية من الدرجة الأولى (المجتمع كما هو) وتتيح إمكانية مساعلتها واستخلاص وعي نقدي منها. وهي الوظيفة التي

أبو بكر العيادي
كاتب تونسي

في إحدى مقالاته كتب الفيلسوف الفرنسي بول ريكور أن الخيال الفني، وكذلك السياسي، يدمر العالم ليخلق مقترح عالم آخر، ما يعني أن الكذب دليل على حريتنا، نبتكر ونخلق ما شاء لنا الخيال دون اعتبار للواقع. فكيف يمكن أن نفتح مثل هذه الممكنات دون الوقوع في نفي الواقع؟

العمل التخيلي أكثر قدرة على كشف الحقيقة لمرحلة أو كائن بشري من الدراسات التاريخية والبيولوجية وغيرها

لو أمعنا النظر في هذه المقولة لوجدنا صداهاً بوضوح أكبر لدى حنا أرندت حين أوضحت تقارب ملكة الكذب ونكران الحقيقة بشكل سافر، مع قدرة الفعل التي تسمح بتغيير العالم. فكلماتها تنطلق من الخيال وممارسة حرية يمكن أن تولد ما هو غير مسبوق ولا متوقع. ذلك أن الكاذب يستفيد من هذا الفسار الدقيق ليمرّ ببحث من تحويل الواقع إلى تدليسه وتزيوره. وبذلك يحرف تلك القيمة البشرية الأصلية ونعني بها الحرية، التي تسمح لنا بأن نتجنب عن طريق الفكر ما يحيط بنا، ونختلج أن الأشياء يمكن أن تكون غير ما هي عليه، وحتى أفضل مما هي عليه.

الممارسات التخيلية

حين يعتمد أراغون ما أسماه "الكذب بصدق" كمنهج حكلي إنما كان يعني أن التخيل السردي يمكن أن يحمل "حقيقة" أقرب إلى الواقع من مجرد

أربعة وعشرون كاتباً يجمعهم «مرفاً الحكايات»

ديبي - بالتعاون مع "ملتقى الوثاب للادباء والكتاب" صدرت مجموعة قصصية بعنوان "مرفاً الحكايات" لأربعة وعشرين كاتباً وكاتبة من مختلف أقطار الوطن العربي. وشارك في الكتاب من الإمارات كل من شهاب غانم، حارب الظاهري، يوسف الحسن، شيماء المرزوقي، عبد الحكيم الزبيدي، علي محمد السبب، علي عبيد الهاملي، ناصر الظاهري.

ومن السعودية نجد قصصاً لثريا العريض، جاسم الصحيح، ومن البحرين عبد الحميد القاسم، ومن سوريا رياض نعانان آغا وموسى الحالول. كما نقرأ قصصاً للاردنيين والفلسطينيين محمد مقدادي، نجاة الفارس، نصر بدوان، نوال حلاوة، ومن لبنان نجد قصة لإخلاص فرنسيس، ومن العراق قصة لشاكر نوري، ومن

السعودية نجد قصصاً لثريا العريض، جاسم الصحيح، ومن البحرين عبد الحميد القاسم، ومن سوريا رياض نعانان آغا وموسى الحالول. كما نقرأ قصصاً للاردنيين والفلسطينيين محمد مقدادي، نجاة الفارس، نصر بدوان، نوال حلاوة، ومن لبنان نجد قصة لإخلاص فرنسيس، ومن العراق قصة لشاكر نوري، ومن

رغم تنوع الموضوعات والمدارس الفنية في هذه القصص إلا أنها اشتركت في طرح قضايا الإنسان المعاصر ومعاناته

اليمين شارك في الكتاب كل من همدان زيد دماج، عزيز ثابت سعيد، نجيب سعيد باوزير، وليد الزباني، ومن مصر أبو الفضل بدران. وعلى الرغم من تنوع الموضوعات والمدارس الفنية في هذه المجموعة القصصية، إلا أنها اجتمعت في طرح قضايا الإنسان المعاصر ومعاناته في شتى جوانب الحياة، كالحب والكره، والنجاح والفشل، والكرم والبخل، والألم والأمل، والموت والحياة، حيث لم تكن هذه القصص تبحث عن حلول لإصلاح الواقع أو تعديله، وإنما طرحت ما يعانيه الإنسان العربي من خيبات وانكسارات وقضايا اجتماعية بأسلوب سردي شائق وممتع. والجدير بالذكر أن هذا هو الكتاب الثالث الذي يصدر عن المنتدى الذي أسسه الدكتور شهاب غانم منذ عام 2017، والذي يضم حوالي 90 عضواً من مختلف أقطار العالم، وعلاوة على نشاط هذه المجموعة الأدبية والثقافية فإنها أول مجموعة "واتساب" على مستوى العالم تنشر كتباً ورقية وإلكترونية. وقد حرر هذا الكتاب القصصي المشترك كل من شهاب غانم ونعيمة الغامدي وجميل داري وعبد الحكيم الزبيدي.

ذكرى تينهيان ملكة الطوارق تفتتح المتحف الجزائري

افتراضية لمعارضه الدائمة وغير الدائمة، كما نظمت ورشات بيداغوجية لصالح الأطفال وهذا عبر صفحة المتحف في فايسبوك وموقعه الإلكتروني.

المتحف يعيد افتتاح أبوابه للزوار بعد حوالي ستة أشهر بعرض المجموعة المتحفية الجنائزية لملكة الطوارق تينهيان

وتم تشييد "باردو" في أواخر القرن الثامن عشر إبان العهد العثماني، ليتم تحويله إلى متحف عام 1930 في الحقبة الاستعمارية الفرنسية، وهو يخصص في عرض آثار ما قبل التاريخ بالإضافة إلى مقتنيات الإثنوغرافية. ومن أهم معروضات المتحف، إضافة إلى الهيكل العظمي لتينهيان ومجوهراتها وأوانيها، لقى أثرية من موقع عين لحنش بسطيف (شرق الجزائر) وهي عبارة عن أحجار وعظام يعود تاريخها إلى مليونين وأربعمئة ألف عام، وهي تعرض بالمتحف منذ 2016.

ويعتبر علماء الآثار موقع عين لحنش "أقدم تواجد بشري بشمال أفريقيا وثاني أقدم تواجد بشري في العالم" بعد موقع "قونا" في إثيوبيا الذي يعود تاريخه إلى "مليونين وستمئة ألف عام". كما يتميز المتحف بعرضه للفلك السفلي للإنسان "الأطلسو - مورتاني" المكتشف بموقع تيغنيف بمعسكر (غرب الجزائر)، والذي يعتبر أقدم إنسان بشمال أفريقيا إلى حد الآن.

ومعناه في العربية "ناصبة الخيام" أو "القادمة من بعيد"، وقد قدمت هذه الملكة الأمازيغية، التي عرفت بحكمتها ودهائها، من منطقة "تافيلالت" بالمغرب الحالي لتجد نفسها بمنطقة الأمازيغ تحكم مملكة مترامية الأطراف. وكان "باردو" (المتحف الوطني العمومي لما قبل التاريخ والأنثروبولوجيا) قد أعاد افتتاح أبوابه مؤخرًا للزوار بعد حوالي ستة أشهر من الإغلاق نتيجة انتشار فيروس كورونا.

واعتمدت إدارة المتحف العديد من الإجراءات الوقائية كتقليص الزيارات من خلال منع وفود الطلبة وتلاميذ المدارس وفرض ارتداء الإيجاري للكمامات والقيام بالتهوية الطبيعية للاماكن. وكذا التنظيف واستعمال المحلول المطهر وقياس درجات الحرارة عند الدخول بالإضافة إلى الاستعانة بمساحات الأحياء والملصقات المذكورة بتدابير الوقاية، وفقاً لرئيس مصلحة الاتصال والتنشيط.

غير أن أعداد الزوار حالياً "لا تزال متواضعة" مقارنة بما كانت عليه قبل الإغلاق في شهر مارس، حيث يوضح خليفة أن "أغلب الزوار هم من العاصمة". ويفتح المتحف أبوابه كل يوم من التاسعة صباحاً وإلى غاية الرابعة مساءً ما عدا يومي الجمعة والسبت (السبت بسبب إجراءات الحجر الصحي) حيث يبلغ سعر تذكرة الدخول 200 دينار جزائري للفتحة العمرية ما بين 16 و65 سنة، في حين أنها مجانية للآخرين، مع تخصيص تخفيضات.

ولفت خليفة إلى أن إدارة المتحف كانت قد استغلت فترة الحجر في ترميم بنايات المتحف وتنظيم زيارات

إلى "غياب الوسائل التقنية الملائمة من تقنيات عرض حديثة تناسب هذا المعلم الأثري بالغ الأهمية". ويعود الهيكل العظمي لتينهيان ومجوهراتها إلى القرن الرابع ميلادي، غير أنه لم يتم اكتشاف موقع دفنها إلا في عام 1925 من طرف بعثة فرنسية أميركية مشتركة في "اباليسا" بالأهقار بولاية تمنراست (أقصى جنوب الجزائر). وتم العثور بجانب الهيكل الخاص بالملكة على مجموعة نادرة من التحف الثمينة والمجوهرات نقلت إلى الولايات المتحدة الأميركية لمدة 5 سنوات لتعود إلى الجزائر وتعرض بمتحف "باردو" إلى غاية 2006.

واسم تينهيان مشتق من لهجة "تماشاق" (لهجة الطوارق الأمازيغ)

الجزائر - يعرض المتحف الوطني العمومي "باردو" بمقره بالجزائر العاصمة المجموعة المتحفية الجنائزية لملكة الطوارق تينهيان قبل نهاية العام الجاري، حسب ما صرح به لوكالة الأنباء الجزائرية، رئيس مصلحة الاتصال والتنشيط بالمتحف تيجدام خليفة.

وسيعرض "باردو"، الذي افتتح أبوابه مؤخرًا للزوار بعد أشهر من الإغلاق نتيجة انتشار فيروس كورونا، الهيكل العظمي لتينهيان ومجوهراتها وأوانيها الخاصة بالطوقس الجنائزية، حيث يعود آخر عرض لهذا المعلم إلى عام 2006 تاريخ ترميم المتحف.

وأرجع خليفة سبب عدم عرض المجموعة المتحفية الجنائزية لتينهيان في المتحف إلى غاية اليوم



ملكة أمازيغية حكيمة